وهذا الدعم القوي الدائم من قبل الدول الغربية الاستعمارية الرئيسية لاسرائيل ، دفع العديد من المفكرين والسياسيين والزعماء العرب الى اعتبارها مجرد اداة في ايدي الاستعمار ، تقوى بقوته وتزول بزواله · الا ان هذه النظرة ليست الا تبسيطا مبالغا به ، ولا تخلو من سذاجة ، وهي بالتالي غير صحيحة تماما وليست شاملة ، من حيث اسقاطها لديناميكية العامل الذاتي الصهيوني ـ اليهودي وتأثيره على الاقل · ونظرة اعمق واشمل قليلا على طبيعة العلاقة بين الاستعمار الغربي والصهيوني واسرائيل تظهر انه بقدر ما كان الاستعمار يسعى الى استغلال الصهيونيين كأداة لتحقيق اهدافه ، كان اولئك يعملون على الافادة من المخططات الاستعمارية لتقوية انفسهم اولا · ومع مرور الزمن ، اضاف الصهيونيون مكسبا الى مكسب ، واحتلوا الموقع تلو الاخر ؛ وبنوا مؤسساتهم ووسعوا نفوذهم ، وراحوا يطرحون انفسهم كـ « حليف »، لا تابع، للاستعماريين او ـ احيانا ـ لغيرهم ، باعتبارهم انفسهم كيانا مستقلا ، قائما بحد ذاته ، له مصالحه ، وبالتالي مواقفه ، الخاصة به · وعرض سريع لبعض مفاصل الاستراتيجية الصهيونية يوضح ذلك · فالبريطانيون ، من ناحيتهم ، باصدارهم وعد بلفور سنة ١٩١٧ ، هدفوا الى استعمال الصهيونيين كأداة ، خلال المرحلة الاخيرة من الحرب العالمية الاولى والسنوات التي تلتها ، ضد حلفائهم الاستعماريين الاخرين ، وعلى رأسهم فرنسا ، لتوسيع منطقة الوطن القومي اليهودي ، المفهوم ضمنا انها ستكون خاضعة للسيطرة البريطانية ، وبالتالي تحسين وضع بريطانيا من حيث سيطرتها على مساحات اكبر عند تقسيم المشرق العربي الى مناطق نفوذ امبريالية · وهذا ما تم فعلا ، على حساب مطامع فرنسا ، التي كان من المفروض ان تسيطر ، وفق اتفاقية سايكس ـ بيكو ، على منطقة اوسع من تلك التي كانت من نصيبها لو لم تبرز مشكلة الوطن القومي · كذلك هدفت بريطانيا ، بالطبع ، من وراء تبني الوطن القومي اليهودي ، الى خلق كيان مؤيد للبريطانيين في الشرق ، يساعدهم على تثبيت سيطرتهم على المنطقة· ولذلك سعوا ايضا ، مع الصهيونيين ، الى الحصول على اعتراف دولي بذلك الوطن ، وهو ما حققوه باقرار الانتداب البريطاني على فلسطين من قبل عصبة الامم · غير ان ذلك « الاتفاق » البريطاني ـ الصهيوني لم يبق نافذ المفعول الا نحو ٢٠ سنة فقط ، اذ ما ان نشبت الحرب العالمية الثانية حتى راح الصهيونيون يعيدون حساباتهم ويستعدون لمجابهة احتمالات المستقبل · ومع نهاية الحرب ، التي حولت بريطانيا الى قوة عالمية من الدرجة الثانية ، دخل الصهيونيون في صراع سياسي وعسكري واسع معها (في الوقت الذي كان العرب لا يزالون يتمسكون فيه بـ « الحليفة » بريطانيا) ، كان من بين الاسباب التي ادت الى انهاء الانتداب البريطاني على فلسطين · اي ان « التعاون » البريطاني ـ الصهيوني انتهى بانحسار الاستعمار البريطاني عن فلسطين ، وبقاء الوطن القومي اليهودي الذي تحول الى دولة ·